كلية الآداب واللغات المستوى : ماستر1 (نقد حديث ومعاصر)

قسم اللغة والأدب العربي الأستاذ : بودوخة (مصادر التراث أ.ن)

التطبيق رقم 02 : ثانيًا : طبقات الشعراء* لابن سلّام الجُمَحِي

تمهيد :

يُعدّ هذا أوّل كتاب في **النقد** وصل إلينا كاملا ، وقد حاول فيه صاحبه أن يصنّف الشعراء ، ويضعهم في **طبقات** أو **مراتب** ، وهذا نمط جديد من التأليف ، فقد كان **مؤلّفو** الكتب في عصره وقبل عصره يسعَوْن إلى جمع الروايات المختلفة من الشعر والقصص والأخبار والأنساب والحكم والأمثال ، وإن اهتمّت بعض هذه الكتب بموضوع بعينه ، كـ : كتاب **الأغاني** لأبي الفرج الأصفهاني ، وكتاب **الكامل** للمبرّد ، وكتاب **البيان والتبيين** للجاحظ ...

أما ابن سلاّم فكان يهدف إلى تقدير الشعراء وفقا لمقاييس معيّنة تَفَتَّقَ عنها ذهنه وعلمه ، وذوقه الشخصي ، ومن ثَمّ سَمَّى كتابه **(طبقات الشعراء)** .

1/ التعريف بصاحب الكتاب :

هو أبو عبد الله محمد بن سلّام بن عُبَيْد الله بن سالم **الجُمَحِي** ، ولد بالبصرة سنة **(139هـ)** ، وعاش في بغداد حتّى مات بها سنة **(232هـ)** .

نَشَأَ الجُمَحِي في بيت يهتم بالأدب والرواية ، فأبوه سلّام ابن عُبيد الله الجُمَحي كان راوية ، وقد روى عنه ابْنُه في مَواضعَ كثيرة من كتابه ، كما درس على كثير من علماء عصره ، منهم : أَبَّان بن عثمان بن عفّان ، وخَلَف الأحمر ، وأبو عُبَيْدة معمر بن المُثَنَّى ، وأبو زيد الأنصاري ، والمفضّل الضّبّي ويونس بن حبيب وغيرهم ...

كما رَوَى عنه كثير من عُلماء عصره ، منهم : أحمد بن حنبل ، وأحْمد بن يَحيى (ثعلب) ، والمازني ، والرّياشي ، وأبو خَلِيفة الجُمَحي (ابن أخته) ، وهو الذي روى عنه كتاب **طبقات الشعراء** بإجازته .

2/ الدافع إلى تأليف كتاب الطبقات :

يقول ابن سلّام في مقدمة كتابه **(طبقات الشعراء)** : " ذكرنا العربَ وأشعارَها ،

---

* / يرى محقق كتاب (طبقات الشعراء) وهو محمود محمد شاكر أن يكون عنوان الكتاب هو (طبقات **فحول** الشعراء) معتمدا في ذلك علي بعض الحجج .

والمشهورين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيّامها ، إذ كان لا يُحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب ، فاقتصرنا من ذلك على ما لا يجهله عالم ، ولا يستغني عن علمه ناظر في أيام العرب فبدأنا بالشعر .

ومعنى ذلك أنّ ابن سلام كان يبغي التأليف في طبقات شعراء العرب وفرسانهم وأشرافهم وأيّامهم ، فهل أنجز ما كان يودّ إنجازه ؟؟؟

يذكر ابن النديم في كتاب **(الفهرست)** كتابين لابن سلّام ، الأول موسوم بـ**(الفاصل في مُلَح الأخبار والأشعار)** ، والثاني موسوم بـ**(كتاب بيوتات العرب)** ، فهل تضمّن هذانِ الكتابان الحديث عن فرسان العرب وأشرافهم وأيّامهم ؟؟؟

والجواب عن هذا يبقى في ظهر الغيب ، لأنه لم يصلنا سوى كتاب (طبقات الشعراء) الذي نحن بصدد دراسته .

3/ هل (طبقات الشعراء) كتاب نقد ؟؟؟

كان الشعر قد كثرت روايته،ولعب بعض **الرواة** دورا بارزا في **نَـحْـلِهِ** ، كما انتشرت الآراء التي تعتمد على الذوق الشخصي في الحكم على الشعراء ، ومعنى هذا أن الجو الثقافي كان قد بدأ يُمَهِّد لظهور **حركة نقدية** تساير حركة النشاط الأدبي ، وتحاول أن تضع المقاييس النظرية للحكم على الشعراء . ولعلّ كتاب **(الطبقات)** هو أول كتاب ظهر في هذا المجال ...

4/ دراسة كتاب (طبقات الشعراء) :

ينقسم كتاب (طبقات الشعراء) لابن سلّام الجُمَحي إلى قسمين :

أ/ **القسم الاول :** وهو **(المقدّمة)** ، وعلى الرَّغم من أنها لا تشغل حيّزا كبيرا من الكتاب ، فهي تُعدّ جزءًا أساسيا فيه ، لأنها تحوي **قضايا نقدية** مهمة ، تكشف عن مفهوم الشعر في ذلك العصر ، كما تناقش قضية أدبية شغلت بال الأدباء ، وهي **قضية الانتحال في الشعر** .

وقد لخص ابن سلّام البواعث التي أدّت إلى انْتِحال الشعر ، كما وضع القاعدة التي يصدر عنها في الحكم على الشعر إن كان **مُـنْـتَـحَلًا** أم **أصيلًا** .

ب/ **القسم الثاني :** ويمثل صلب الكتاب ، ويحتوي على تصنيف فُحُول الشعراء الجاهليين والمُـخَـضْـرَمِينَ والإسلاميين وفقا لترتيب معيّن ، عن طريق تقسيمهم إلى طبقات أو مراتب .

س/ ما هي القضايا النقدية التي ناقشها ابن سلّام في مقدمة كتابه ؟؟؟

ج / تتلخص القضايا النقدية التي ناقشها الجُمَحي في مقدمة كتابه فيما يلي :

1/ ضرورة التحقق من صحّة نسْبة الشعر إلى صاحِبه قبل إبداء الرأي فيه ، ذلك أنّ **الانتحال** كان قد كثر في الشعر العربي لسببين ، يتمثّلان عند ابن سلّام في الآتي :

أ/ إنّ انشغال العرب بـ**(الفتوحات في عصر صدر الإسلام)** صرفهم عن رواية الشعر إلى حين ، فلمّا دالت (أي : خضعت) لهم الأمصار، واستقروا فيها ، عادوا إلى رواية الشعر ، **ولكن** لمّا لمْ يكن للعرب **ديوان** سُجِّلت فيه أشعارهم فقد راح بعض **الرّواة المُغْرضين** يتزيّد في قول الشعر ، وينسبه إلى غير صاحبه ...

ب/ ما قام به شعراء بعض القبائل التي غابت عن **الفتوحات الإسلامية** ، فكانت وقائعُها فيها قليلةً ، وأشعارُها أقلَّ ، فعمدت إلى **انتِحال بعض الأشعار** ، حتى تفاخر بها القبائل ، **يقول الجُمَحِي : " فلمّا راجعتِ العربُ رواية الشعر ، وذِكْرَ أيّامِها ومآثِرِها ، استقلَّ بعضُ العشائر شعرَ شعرائهم ، وما ذهبَ من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قَلّتْ وقائعُهم وأشعارُهم ، فأرادوا أن يلْتحقوا بمن له الوقائعُ والأشعارُ، فقالوا على ألسنة شعرائهم . ثم كانت الرواةُ بَعْدُ فزادوا في الأشعار التي قيلت . وليس يشكلُ على أهل العلم زيادةُ الرواةِ ، ولا ما وضعُوا ... " .**

2/ إنّ **الذوقَ الشخصي** أساسُ الحُكم على الشعر ، ولكن ليس كلّ من قال رأيًا في الشعريُعتدُّ به ، بل لا بدّ أن يتوافر في **الناقد شرطان** ، وهما :

أ/ أن يكون دارسًا ، واسع الدراسة ، فإذا اتَّفَقَ بعض الدارسين في ثقافتهم ، وسِعَة اطّلاعِهم ، فلا يَعْني هذا بالضرورة اتّفاقُهم في آرائهم ، ولكنّه لا يُعْتَدّ برأي فرد منهم إذا عارضَ ما اتّفق عليه العلماء ، **يقول ابن سلّام : " وقد اختلفت العلماء بَعْدُ في بعض الشعر، كما اختلفت في سائر الأشياء . فأمّا ما اتّفقوا عليه فليس لأحد أن يخرج منه " .**

ب/ أن تكون الدُّربة والمِرانُ على نقد الشعر دَيْدَنُه ، فإذا كانت **المُدارسةُ** تُعين على العلم بالشعر ، فإنّ **الدُّرْبة** هي التي تُربّي الذوق ، وتُعِين على تحديد موضع الاسْتِحْسان في الشعر، **يقول ابن سلّام** مُسْتشْهدا بأمثلة **حِسّية** لتَوضيح رأيه : **"... ويُقال للرجل والمرأة في القراءة والغِناء : إنّه لَنَدِيّ الحَلْق ، طَلّ الصوت ، طويلُ النفَس ، مُصِيبُ اللحْنِ ، ويُوصفُ الآخرُ بهذه الصفةِ ، وبينهما بَوْنٌ بعيدٌ . يَعْرِفُ ذلك العلماءُ عند المعاينة والاستماعِ له ، بلا صفةٍ يُنْتَهَى إليها ، ولا عِلْمٍ يُوقَفُ عليه " .**

3/ صنّفَ ابن سلّام شعراءه في مراتب **(طبقات)** وفق منهج يقول هو عنه : **"ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمُخَضْرَمِينَ ، الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام ، فنزّلناهم منازلهم ، واحْتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حُجّة وما قال فيه العلماء ...**

وقد اختلف الناس والرواة فيهم ، فنظر قوم من أهل العلم بالشعر ، والنفاذ في كلام العرب ، والعلم بالعربية إذا اختلفت الرواة ، فقالوا بآرائهم ، وقالت العشائر بأهوائها ، ولا يقنع الناس مع ذلك إلا الرواية عمّن تقدم ، فاقتصرنا من الفحول المشهورين على (أربعين شاعرا) ، فألّفنا من تشابه شعره منهم إلى نُظرائه ، فوجدناهم (عشرَ طبقات) ، (أربعةُ رَهْطٍ) لكل طبقة ، متكافِئِينَ مُعْتَدِلِينَ " .

وقد جعل ابن سلّام شعراء الجاهلية في عَشْر طَبَقات ، وجعل في كل طبقة أربعة شعراء . ثم جعل **شعراء الرثاء** وهم أربعة كذلك في طبقة مستقلة . وخصّ **شعراء القُرى (المدينة ، ومكة ، والطائف ، واليمامة ، والبحرين)** بطبقة خاصة لكل قرية . ثم أضاف **شعراء اليهود** إلى شعراء القرى ، كأنه خصّهم بقرية خاصّة .

وإذا كان ابن سلّام قد التزم بالرقم أربعة في كل طبقة ، فإنه لم يُلزم نفسه بهذا الرقم عند تصنيفه لشعراء القُرى : فشعراء المدينة (**ستة**) ، وشعراء مكة (**عَشَرَة**) ، وشعراء الطائف (**خمسة**) ، وشعراء البحرين (**ثلاثة**) ، ولم يذكر لليمامة شاعرا ، **بل قال : "لا يُعرف لليمامة شاعرا مذكورًا "** ، وكان الأَوْلَى ألّا يذكر اليمامة أصلًا وفي ختام فصل شعراء القرى تحدّث عن أشهر شعراء اليهود ، وجعلهم **(ثمانية)** .

ثم صنّف ابن سلّام شعراء الإسلام في عشر طبقات أيضا ، وفي كل طبقة أربعة شعراء ، وأمّا الشعراء المخضرمون فوزّعهم بين الجاهلية والإسلام .

4/ وقد فاضل ابن سلّام بين الشعراء على **أسس ثلاثة** : **الجودة ، والكمّ ، وتنوع الأغراض التي قال فيها الشاعر .** فإذا أتقن شاعرانِ في الإجادة ، ولكنّ ما رُوي عن أحدهما كان أكثرَ ممّا رُوي عن الثاني، وُضع الأوّلُ في **طبقة أسمى** من طبقة الثاني. فهو **يقول** مثلا عن شعراء الطبقة السابعة **: "أربعة رَهْطٍ مُحكّمون مُقِلّون ، وفي أشعارهم قِلّة ، فذاك الذي أخّرهم ". ويقول** في شعراء الطبقة الرابعة **"وهم أربعة رهط فحول الشعراء ، موضعهم مع الأوائل ، وإنما أخلّ بهم قلّة شعرهم بأيدي الرواة " .**

وإذا اشتهر شاعران بفنّ من الفنون ، كما اشتهر **كُثَيّر** و**جَمِيل** بالنسِيب وهو الغزل) ، وكان أحدهما يفوق الآخر فيه ، كما فاق جميلُ كُثَيّرًا ، فإنّ كثيّرًا يوضع على الرغم من ذلك في مرتبة (طبقة) أعلى من مرتبة جميل ، وذلك لأنّ كُثَيّرا قال

في فنّ آخر غير الغزل ، وهو **المدح** . **يقول ابن سلّام في ذلك : "وكان لكثيّر في التشبيب نصيب وافر، وجمِيل مقدّم عليه ، وعلى أصحاب النسيب جميعًا في النسيب وله في فنون الشعر ما ليس لجميل، وكان جميل صادق الصَّبابة ، وكان كثيّر يتقوّل ولم يكن عاشقا ، وكان راوية جميل "** ، ومع كل هذا ، فقد وضع ابن سلّام **كُثيّرا** في الطبقة الثانية ، و**جميلا** في الطبقة السادسة .

أما إذا تساوى شاعران في الكثرة وتنوّع الأغراض ، كان **معيار المفاضلة** بينهما هو **الجودة** .

5/ وعلى الرَّغم من أنّ ابن سلّام كان **مصِيبا** في **آرائه النقدية العامة** التي أعرب عنها في مقدمة كتابه **(طبقات الشعراء)** إلا أنه عند ممارسته لنقد الشعر **عمليا** ،خانته **حاسته النقدية** في بعض الأمور منها :

أ/ ألزم نفسه بتصنيف الشعراء في عشر طبقات ، في كل طبقة أربعة شعراء ، وليس هناك ما يبرّرُ التزامه بهذه الأرقام ، بل أوقعه ذلك في الحَرَج أحيانا ، كأن يعترف بأنّ شاعرا كان يستحقّ أن يوضع في مرتبة أعلى من التي وضعه فيها ، وما منعه من ذلك إلا تقيّده باختيار أربعة شعراء في كل طبقة . فهو **يقول** مثلا في الطبقة الثانية من شعراء الجاهليين : **" وأوْس نظير الأربعة المتقدمين** (يعني شعراء الطبقة الأولى) ، **إلا أنّا اقتصرنا في الطبقات على أربعة رهط "** .

ب/ صنّف ابن سلّام الشعراء في **طبقات** وفق معايير فنية ، لكنّه بعد أن فرغ من ترتيب شعراء الطبقات العشر **الأولى** يفاجئنا بوضع **شعراء الرثاء** في طبقة مستقلّة ، ثم يتبعهم بـ**شعراء القرى** ، وهذا يعني أن ابن سلّام الجُمَحي ارتبك بين **المعيارالفنّي والمعيار الموضوعي ، والمعيار المكاني** ، مما جعلنا نتساءل : **في أيّ طبقة فنية من طبقاته يمكن إدراج شعراء الرثاء ؟ أو شعراء القُرى؟ بل حتى شعراء اليهود ؟؟؟**

جـ/ اتخذ ابن سلّام **معيار الجودة** أساسا للمفاضلة بين الشعراء ، وهذا اختيار يحسب له ــ لو اكتفى به ــ لكنّه أضاف له معيار **كثرة الإنتاج الشعري** ، مما اضطرّه إلى تأخير شعراء امتازوا بالجودة العالية، وما أخّرهم إلا لقلة ما رُوي عنهم من أشعار... وكان الأَوْلَى ألا يُخلط بين **معياري الجودة والكثرة** ، خصوصا وقد أشار في مقدمة الكتاب إلى أن **الرواة** قد لعبوا دورا **خطيرا** في الإقلال من شعر الشاعر ، أو الإكثار من شعر غيره ...

6/ ومع ذلك فإن كتاب **(طبقات الشعراء) لابن سلّام الجمحي** لا يخلو من خطرات لامعة في النقد ، ويكفيه أنه خطا أول خطوة في النقد المنهجي عند العرب ، فمهد الطريق للنقاد من بعده .

نماذج من كتاب (طبقات الشعراء) :

الطبقة الثانية :

¶/ **البَعِيث :** واسمه خِداش بن بِشر بن خالد بن بَيْبَة بن قُرْط بن سفيان بن مُجاشع بن دارم ، وسُمّي **البعيثَ** لقوله :

تَـبَـعَّثَ مِنّي ما تَـبَـعَّثَ بعد ما * أُمِـرَّتْ حِبالٌ كُـلَّ مِرَّتِـها شَـزْرَا**

وهو أوّل شعر قاله .

¶/ **القُطامِيّ :** واسمه عَمْرو بنُ شُـيَـيْـم بنُ عَمْرو ، أحد بني بكر بن حُبَيْب بنُ عَمْرو ابنُ غَنْم بنُ تَغْلِب .

¶/ **كُـثَـيِّـر :** وهو كُـثَـيِّـر بن عبد الرحمان الخُزاعِيّ ، وهو ابن أبي جُمُعَة ، وكُنْيته : **أبو صخر**، وهو عند أهل الحجاز **أشعرُ** مِن كل مَنْ قدّمنا عليه .

¶/ **ذو الرُّمّة :** واسمه **غَيْلانُ** ، وهو الذي يقول : **أنا أبو الحارث ، واسمي غَيْلان .** غيلان بنُ عُـقـبة بن بُـهَـيْـش بن مسعود بن حارثة بن عَمْرو بن ربيعة بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ثعلبة بن ربيعة بن مِلْكان بن عَدِيّ بن عبد مناة بن أُدّ ، وهم عديّ التيم ، والتيم من الرّباب

¶/ وكان **البعيث** شاعرا فاخر الكلام ، حرّ اللفظ ، وقد غلبه **جرير** وأخمله ، وكان قد قاوم جريرا في قصائد ، ثم ضجّ إلى **الفرزدق** واستغاثه .

¶/ وكان **القُطامِيّ** شاعرا فحْلا، رقيق الحواشي، حُلْو الشعر، و**الأخْطَل** أبعد منه ذكرا وأمتن شعرا .

¶/ وكان زُفَـر بن الحارث أَسَرَه في حرب بينه وبين تغلِب ، فمنّ عليه ، وأعطاه مائة من الإبل ، وردّ عليه ماله ، فقال **القُطامِيّ** :

ولا كَـرَدِّكَ مَالِي بَـعْدما كَـرَبَـتْ * تُـبْـدِي الشماتةَ أعْـدائِي وحُـسّادِي**

فإنْ قَـدرتُ على يومٍ جُـزِيتُ به * واللهُ يَـجْـعَـلُ أقْـوامًـا بِـمِـرْصـادِ**

قال ابن سلّام : فلما بلغ زُفَـرَ قولُهُ ، قال : لا قَدَرْتَ على ذلك اليوم .